بعد أن وصف ا بالتفرد بالإلهية أتبع بوصفه ب (الحكيم العليم) تدقيقا للدليل الذي في قوله (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) حيث دل على نفي إلهية غيره في السماء والأرض واختصاصه بالإلهية فيهما لما في صيغة القصر من إثبات الوصف له ونفيه عمن سواه فكان قوله (وهو الحكيم العليم) تتميما للدليل واستدلالا عليه ولذلك سميناه تدقيقا إذ التدقيق في الاصطلاح هو ذكر الشيء بدليل دليله وأما التحقيق فذكر الشيء بدليله . لأن الموصوف بتمام الحكمة وكمال العلم مستغن عما سواه فلا يحتاج إلى ولد ولا إلى بنت ولا إلى شريك .

(وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون [85]) عطف على (سبحان رب السماوات والأرض) قصد منه إتباع إنشاء التنزيه بإنشاء الثناء والتمجيد .

(وتبارك) خبر مستعمل في إنشاء المدح لأن معنى (تبارك) كان متصفا بالبركة اتصافا قويا لما يدل عليه صيغة تفاعل من قوة حصول المشتق منه لأن أصلها أن تدل على صدور فعل من فاعلين مثل : تقاتل وتمارى فاستعملت في مجرد تكرر الفعل وذلك مثل : تسامى وتعالى .

والبركة : الزيادة في الخير .

وقد ذكر مع التنزيه أنه رب السماوات والأرض لاقتضاء الربوبية التنزيه عن الولد المسوق الكلام لنفيه وعن الشريك المشمول لقوله (عما يصفون) وذكر مع التبريك والتعظيم أن له ملك السماوات والأرض لمناسبة الملك للعظمة وفيض الخير فلا يربيك أن (رب السماوات والأرض) مغن عن (الذي له ملك السماوات والأرض) لأن غرض القرآن التذكير وأغراض التذكير تخالف أغراض الاستدلال والجدل فإن التذكير يلائم التنبيه على مختلف الصفات باختلاف الاعتبارات والتعرض للاستمداد من الفضل . ثم إن صيغة (تبارك) تدل على أن البركة ذاتية تعالى فيقتضي استغناءه عن الزيادة باتخاذ الولد واتخاذ الشريك فبهذا الاعتبار كانت هذه الجملة استدلالا آخر تابعا لدليل قوله (سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون) .

وقد تأكد انفراده بربوبية أعظم الموجدات ثلاث مرات بقوله (رب العرش) وقوله (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) وقوله (الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما) .

فكم من خصائص ونكت تنهال على المتدبر من آيات القرآن التي لا يحيط بها إلا الحكيم العليم .

ولما كان قوله (الذي له ملك السماوات والأرض) مفيدا التصرف في هذه العوالم مدة

وجودها ووجود ما بينها أردفه بقوله (وعنده علم الساعة وإليه ترجعون) للدلالة على أن له مع ملك العوالم الفانية ملك العوالم الباقية وأنه المتصرف في تلك العوالم بما فيها بالتنعيم والتعذيب فكان قوله (وعنده علم الساعة) توطئة لقوله (وإليه ترجعون) وإدماجا لإثبات البعث .

وتقديم المجرور في (إليه ترجعون) لقصد التقوي إذ ليس المخاطبون بمثبتين رجعى إلى غيره فإنهم لا يؤمنون بالبعث أصلا .

وأما قولهم للأصنام (هؤلاء شفعاؤنا عند ا) فمرادهم أنهم شفعاء لهم في الدنيا أو هو على سبيل الجدل ولذلك أتبع بقوله (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) .

وقرأ الجمهور (ترجعون) بالفوقية على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمباشرة بالتهديد . وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالتحتية تبعا لأسلوب الضمائر التي قبله وهم متفقون على أنه مبني للمجهول .

(ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون [86]) لما أنبأهم أن ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة أعلمهم أن ما يعبدونه من دون ا لا يقدر على أن يشفع لهم في الدنيا إبطالا لزعمهم أنهم شفعاؤهم عند ا .

ولما كان من جملة من عبدوا دون ا الملائكة استثناهم بقوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أي فهم يشفعون وهذا في معنى قوله (وقالوا اتخذ الرحمان ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) ثم قال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقد مضى في سورة الأنبياء .

ووصف الشفعاء بأنهم شهدوا بالحق وهم يعلمون أي وهم يعلمون حال من يستحق الشفاعة . فقد علم أنهم لا يشفعون للذين خالف حالهم حال من يشهد بالحق .

(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن ا فأنى يؤفكون [87]) E A